هانس كوكلر

مهام الفلسفة في عصرنا الحالي

محاضرة

جامعة بن طفيل ظ القنيطرة / المغرب

7 يونيو 2022

أولا

يمكن وصف الفلسفة، باعتبارها ميتا-علم نشأ نتيجة التفكير في المعرفة المكتسبة في العلوم الفردية، كإشكالية السبب والكل والمطلق. إلى حد ما. وهذا هو البعد الوصفي للفلسفة، والذي يشمل الأنطولوجيا والميتافيزيقا ويفترض مسبقًا نظرية المعرفة كتخصص منهجي.

يتعلق البعد المعياري للفلسفة بمسألة ما هو جميل وما هو خَيِّر، أي مجالات علم الجمال والأخلاق. ويعتمد الدافع وراء طرح الأسئلة الفلسفية على محدودية الإنسان بشكل عام. ومن هنا تأتي الأهمية الوجودية للفلسفة، والتي تؤثر بشكل مباشر على حياة كل فرد.

منذ العصور اليونانية القديمة تُجَسِّد الإشكاليات ذات البعدين - الوصفي والمعياري-، والتي حددت التفكير في الشرق والغرب لقرون، ما كان يُطلق عليه غالبًا " philosophia perennis" [الفلسفة المتجددة على الدوام]: البحث عن الحقيقة كخاصية عالمية للإنسان، باستقلال عن الزمان والمكان، وبالتالي أيضًا عن الاختلافات الاجتماعية والثقافية ومصادفات الحياة اليومية.

وتم تطوير فكرة عالمية العقل هذه -والتي شكلت أيضًا أسلوب التفكير الغربي- ونشرها من طرف الشخص الذي تحمل الجامعة التي تدور فيها مناقشاتنا اليوم اسمه. و أرجع هنا هنا إلى قصة رمزية فلسفية

أظهر بواسطتها أبو بكر بن طفيل في قصته "حي بن يقضان" – ببراعة- كيف أن الإنسان، بغض النظر عن البيئة التاريخية والاجتماعية والثقافية الملموسة والتربية، يمكنه اكتساب المعرفة على أساس ملاحظة/مراقبة الطبيعة، وبمساعدة قدرته على التجريد الحصول على معرفة أعلى.

وقد أعجب بعض أهم فلاسفة عصر التنوير الأوروبي - مثل سبينوزا، وليبنيز، وفولتير، وجون لوك، وأيضًا إرنست بلوخ في القرن العشرين - بهذه "الرواية التربوية" حول الحياة واكتساب المعرفة للفيلسوف الأوطوديداكتيكي philosophus autodidactus ("فيلسوف علم نفسه بنفسه" ، كما سُمِّي عنوان الترجمة اللاتينية للكتاب في القرن السابع عشر).

تتأسس الكونية على قدرة الإنسان على التفكير Reflexivität، أي أنها تتأسس على قدرته على التفكير في ذاته وفي محتوى أو أشياء تجربته واستخدام المنطق لفهم البنيات العامة والترابطات/الروابط.

وهكذا فإن الإنسان يفوق منذ ولادته سذاجة كائن طبيعي عادي. فمن خلال تفكيره، يمكنه أن يسمو فوق المصادفة والمحدودية، بعدما خرج من الجنة. لم يتغير وضع الوجود الإنساني المحدد بهذه الطريقة في الوقت المعاصر أيضًا - ولن يتغير بمرور الوقت أيضًا. ولا تعني آلاف السنين شيئًا من حيث الوضع الإنساني conditio humana.

وهنا يكمن بامتياز موضوع الفلسفة المستقل عن العصور (العابر للعصور)، باعتبارها ميتا-علم. إن الفلسفة هي النظام الذي يحط الحياة كما هي محط تساؤل ويتناول معايير الحياة "الجيدة" (الأخلاقية) عبر الزمن.

ما يتغير هي الظروف الحياتية الملموسة التي تطرح الفلسفة في ظلها الأسئلة الأساسية التي ذكرناها في البداية. وقد تغيرت هذه الشروط العامة بشكل كبير مع تطور التكنولوجيا الحديثة وظهور العولمة ـ مقارنة بفترة ما قبل الصناعية ـ، ولكن بشكل خاص مقارنة بالفترة التي سبقت تطور تكنولوجيا المعلومات (IT).

ثانيا

فيما يخص التغيير التاريخي، والذي بسببه يظهر الوضع الإنساني conditio humana في أشكال جديدة دائمًا، على الرغم من أنه لا يخضع للتغيير من الناحية الميتافيزيقية، لا يسعني إلا أن أذكر هنا بعض الأمثلة القليلة للتحديات والمهام التي يستلزمها هذا التغيير للفلسفة اليوم. ويتعلق الأمر بثلاثة جوانب بشكل أساسي:

1. على عكس الفترة ما قبل الصناعية، فإن جميع الحضارات والثقافات تتقابل حاليا بشكل دائم مع بعضها البعض في نفس الوقت. إنها توجد بطريقة ما، سواء أرادت ذلك أم لا، "وجهاً لوجه مع بعضها البعض".

2. من خلال تطوير التكنولوجيا، جعل الجنس البشري فناءه الذاتي لأول مرة في تاريخه ممكنًا. (ويتضح هذا أيضًا بشكل صادم من خلال المناقشات الأخيرة - في سياق الصراع العسكري والجيوسياسي الحالي حول أوكرانيا - حول الاستخدام المحتمل للأسلحة النووية كملاذ أخير للحرب).

3. في الوقت نفسه كشفت عملية العولمة عن بنيات دولة عالمية **Weltstaat**. ويتعلق الأمر أيضًا بدور المنظمات الدولية والعابرة للقارات وكذلك بمجموعات الأعمال النشطة عالميًا، أي تأثيرها على حياة الإنسان.

يعني هذا العديد من المهام والتحديات الجديدة للفلسفة، والتي أود أن أشرحها باستحظار بعض الأمثلة، على الرغم من أنني لا أدعي كمال القائمة. ويبدو لي بأن الموضوعات ومجالات المشكلات التالية ذات أهمية خاصة:

- **الحوار بين الثقافات: نظرًا لعالمية العقل - بمعنى البصيرة التي صاغها ابن طفيل - يستطيع الفيلسوف تحديد ما هو مشترك في خصوصية النظم الثقافية وأنظمة تَمَثُّل العالم المختلفة، وإجراء مقارنات بين الأنظمة والترويج للحوار، بالقدر الذي يسمح به تطوير الفلسفة لمصطلحاتها بشكل مستقل عن التصورات الإيمانية للعالم**

وهذه أيضًا مهمة الهيرمينوطيقا الفلسفية باعتبارها تأويلًا ثقافيًا. ولهذا أهمية خاصة الآن حيث يتم التذرع بـ "صراع الحضارات" مرارًا وتكرارًا - وأيضًا من أجل السلام العالمي.

- **التربية: يتعلق الأمر هنا بإعادة التفكير في أساسيات التعايش بين الناس، داخل الدولة الواحدة وبين الدول المختلفة. خاصة في المجتمعات العلمانية في الغرب، حيث يختفي التعليم الديني تدريجياً كمادة إلزامية في المدارس، وبالتالي هناك خطر حدوث "فراغ أخلاقي".**

إن المهمة الأساسية للفلسفة هي العمل على أخلاق شاملة لتمثلات العالم، أي تطوير حد أدنى من المعايير الأخلاقية للحياة البشرية ـ في التعامل مع بعضنا البعض ـ، ولكن أيضًا في التعامل مع الطبيعة. يتعلق الأمر بالتحديد بتطوير مناهج دروس الأخلاق Curricula (كمادة إجبارية) في المدارس (التي لم يعد هناك أي تعليم ديني عام فيها).

- **الفلسفة العملية، وخاصة الفلسفة السياسية: يجب على الفلسفة أن تشكك بشكل نقدي في فهم السياسة والديمقراطية، الذي يمليه العالم الغربي (الذي لا يزال مهيمنًا) فعليًا على الشعوب الأخرى - غالبًا باللجوء إلى الحروب-. وسأذكر، من واقع تجربتي، بعض الإشكاليات الأساسية التي غالبًا ما يتم تجاهلها أو كبتها من قبل المؤسسة Establishment الغربية في هذا السياق:**

- ماذا يعني التمثيل النيابي وكيف يتوافق مع استقلالية المواطن؟

- هل يجب إعادة تعريف مصطلحي "الديمقراطية" و "الأوليغارشية" في سياق المجتمع الصناعي الحديث، أو كيف يمكن تمييزهما بدقة عن بعضهما البعض على الإطلاق؟

- ماذا يعني استخدام تكنولوجيا المعلومات التي تشكل الحياة اليومية بالنسبة لوضع الناس كأشخاص مستقلين، وخاصة بالنسبة للحرية بالمعنى الوجودي؟

فلسفة القانون: ظهرت في المجتمع العالمي اليوم أشكال مما يسمى "الحوكمة العالمية"، والتي تستند إلى معايير لا تتوافق مع بعضها البعض في بعض الحالات المهمة. وكمثال على ذلك هناك ميثاق الأمم المتحدة (UNO).

وأرى بأن المهمة الملموسة للفلسفة هنا في تطبيق مبادئ المنطق على تحليل نظام المعايير التي تشكل النظام الأساسي للأمم المتحدة. يمكن للفيلسوف - بشرط الاستوديو* sine ira et studio أن يكتشف التناقضات المعيارية

* إضافة المترجم: خال من العاطفة والإثارة، نزيه، موضوعي. حرفيا: بدون كراهية وجهود قوية. في الأصل: اقتباس من بداية "حوليات" تاسيتوس؛ ادعائه في التأريخ، والذي نادراً ما يتبعه هو نفسه) إضافة المترجم: خال من العاطفة والإثارة، نزيه، موضوعي. حرفيا: بدون كراهية وجهود قوية. في الأصل: اقتباس من بداية "حوليات" تاسيتوس؛ ادعائه في التأريخ، والذي نادراً ما يتبعه هو نفسه)

التي تتجاهلها أو تخفيها العلوم القانونية (لأي سبب كان). ويتعلق الأمر هنا، على سبيل المثال، بمبدأ المساواة في السيادة بين الدول، والذي يتعارض بشكل مباشر مع قواعد التصويت (امتياز الفيتو) في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة

إن توضيح ذلك وتقديم مقترحات حلول هو أمر في غاية الأهمية، لأن التناقضات بين القواعد الأساسية لا تجعل منظومة الأمم المتحدة بأكملها غير جديرة بالثقة فحسب، بل تجعلها مختلة، ونتيجة لذلك يتعرض السلام العالمي للخطر.

إن ما يعنيه هذا بشكل ملموس ظهر في الصراع الفلسطيني الذي ظل دون حل منذ عقود طويلة، وفي خضم حروب عدوانية عدة ضد دول عربية وإسلامية - ويتجلى مرة أخرى في فشل نظام الأمن الجماعي في الصراع في أوكرانيا.

- **الفلسفة السياسية (في علاقتها بالفلسفة القانونية): على ضوء التعقيد المتزايد باستمرار للعلاقات الدولية والعواقب الكارثية للنظام العالمي المختل الذي تهدده تكنولوجيا الأسلحة اليوم، فإن مهمة الفلسفة تكاد أن تكون وجودية، بإعادة إحياء مشروع إيمانويل كانط حول "السلام الدائم" (1795).وتكييفه مع الظروف الحالية.**

- **الأنثروبولوجيا:**

*** تتمثل المهمة المركزية للفلسفة في عصرنا هذا في دراسة ما يعنيه التغيير التقني في البيئة من قبل الإنسان بالنسبة لفهم هذا الإنسان للطبيعة والواقع، وعلى وجه الخصوص تحليل عواقب التلاعب الذاتي التقني للإنسان على الهوية الشخصية ـ من خلال الطب والهندسة الوراثية وتكنولوجيا المعلومات وما إلى ذلك.**

وهنا يجب طرح السؤال عما يعنيه عدم مواجهة الإنسان كذات نفسه بطريقة تأملية (والتي تعتبر جوهر الفلسفة) فحسب، بل يجعل نفسه أيضًا موضوعًا لنشاطه (التقني)؟

يقود التحليل الأنثروبولوجي هنا مباشرة إلى الأسئلة الأخلاقية المتعلقة بالكرامة الإنسانية، وهي مشكلة سبق أن أشار إليها إيمانويل كانط في كتابه "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق Grundlegung zur Metaphysik der Sitten".

*غالبًا ما ترتبط بهذا النقاشات الجدلية والعاطفية للغاية في العالم الغربي حول ما يسمى بمشكلة الجندر Gender (النوع الاجتماعي)، والتي تؤثر بشكل مباشر على الحالة الفردية الخاصة للإنسان.

وللنقد الفلسفي لهذا الخطاب أهمية موضوعية كبيرة أيضًا في الوقت الحالي، عندما ترغب بعض الدول (الغربية) فرض قناعتها بهذا الأمر والمعايير الاجتماعية والقانونية واللغوية المشتقة منها على بقية العالم، وتربط التعاون أو الدعم الفعلي لدول أخرى بالتقيد بهذه المعايير.

- **الأخلاق التطبيقية: تنتج معضلات أخلاقية متعددة عن المشكلات المذكورة، والتي يجب على الفلسفة تحليلها إذا أرادت أن تبقى مهمة في القرن الحادي والعشرين. وكأمثلة على هذا هناك:**

***التقييم الأخلاقي لعمليات زرع الأعضاء - فيما يتعلق بـ "المتبرع" و"المتلقي"، ومشكلة الطوعية بالنسبة لكلا الجانبين وعواقبها على هوية الشخص من جانب المتلقي.**

وتمثل زراعة أنسجة المخ معضلة أخلاقية خاصة:
أنثروبولوجيا من حيث الهوية، أخلاقية من حيث الحصول على المواد من الأجنة المجهضَة.

*تعريف الموت ـ خاصة فيما يتعلق بممارسات زرع الأعضاء: (أ) ما هو الحدث الذي سيتم تحديده على أنه بداية الموت: توقف دقات القلب أو توقف نشاط الدماغ بشكل لا رجعة فيه؟

(ب) ما هو معيار الموت المسموح به أخلاقيا (الموت السريري أو الموت الدماغي)؟ ج) هل يمكن "تكييف" المعايير - كما حدث بالفعل - مع تطور الإمكانيات الطبية بحيث يتوفر عدد أكبر من "المتبرعين بالأعضاء"؟ وهذا ينطبق، على سبيل المثال، على تقييد معيار موت الدماغ Hirn بموت المخ Großhirn.

***مشكلة البيئة – في علاقتها بالنقد الاجتماعي: إلى أي حد، إن كان للجيل الحالي حقًا، تعريض سبل عيش الأجيال القادمة للخطر من أجل تأمين وزيادة ازدهار هذا الجيل وتمتعه بالحياة؟**

*السياسة والقانون الدوليين: إن أحد الأسئلة الأكثر إثارة للانفجار هنا هي ما إذا كانت سياسة العقوبات الأحادية الجانب (الإجراءات الاقتصادية القسرية)، كما تُمارس في العالم الغربي، متوافقة مع التعايش السلمي بين الشعوب،

و قبل كل شيء هل تتوافق مع حقوق الإنسان الأساسية.
بالنظر إلى الانتهازية المنتشرة بين الباحثين القانونيين والدبلوماسيين في البلدان التي تستخدم العقوبات كأداة سياسية، هناك نوع من الفراغ في الخطاب في هذا الميدان، لا يمكن ملأه إلا من طرف الفلسفة.

أخيرًا وليس آخرًا، أود أن أشير إلى بعدين إشكاليين يتجاوزان الجوانب المذكورة أعلاه ، يمثلان تحديًا خاصًا للفلسفة المعاصرة – ويعتبران في نفس الوقت مسؤولية للمجتمع ككل:

(أ) "التشرد الميتافيزيقي Metaphysische Heimatlosigkeit":

هناك "حاجة" خاصة للفلسفة في المجتمعات الغربية اليوم، التي أدى اختفاء الدين أو قمعه فيها إلى ترك فراغ وجودي.

وأعني هنا التشرد الميتافيزيقي - بمعنى ما "العدمية" - لإنسان الحضارة التقنية. فأسئلة مثل تلك المتعلقة بأصل الواقع ونظام الكائنات/الموجودات، حول العلاقة بين الروح Geist والمادة، حول محدودية الإنسان - بشكل عام:

حول معنى الحياة ـ لها أهمية وجودية مباشرة بالنسبة للفرد. ويتضح هذا بشكل خاص في مجتمعنا الفائق التقنية، حيث تنتشر أشكال جديدة من الخرافات والتصوف، والخوف من الموت، ـ مهما حاول المرء كبته ـ، يجعل الناس يؤمنون بـ "الخلاص" بمساعدة التكنولوجيا.

وتعتبر حركة التفرد Singularity-Bewegung نموذجية في هذا الإطار، وهي حركة بدأت في وادي السيليكون في كاليفورنيا، مركز التكنولوجيا الفائقة وتكنولوجيا المعلومات في العالم. ما أعنيه هنا ليس كون الفلسفة يمكن أن تكون بديلاً عن الدين. إن الفلسفة هي بالأحرى طريقة أخرى يتعامل بها الإنسان مع ما يسمى بالأسئلة "الأخيرة".

فعلى الرغم من أنها غير قادرة على تقديم اليقين للدين، إلا أنه بإمكانها معالجة الأسئلة الأساسية للأنطولوجيا (حول ترتيب الكائنات) والميتافيزيقيا (حول أصل الوجود خارج التجربة) بطريقة تجعل وعي التعالي لا يضيع تمامًا في بيئة تفتقر إلى الترسيخ الديني، وتنكر حقيقة الوحي (في كل دين)،

ولا يتم التضحية بالإنسانية – باعتبار الإنسان جزءًا لا يتجزأ منها وباعتباره موجودا في شيء أكبر منه - بالتفكير في تحقيق الذات في مجتمع الإستهلاك والمتعة. وبهذا المعنى، فإن الفلسفة لا تعني بديلاً، بل تعني على الأقل الانفتاح على المجال الذي فتحه الدين للناس في جميع العصور والثقافات.

(ب) إعادة تعريف مفهوم التقدم أو حط الإيمان بالتقدم

محط تساؤل: مع تطور التكنولوجيا الحديثة، تم تعريف "التقدم" بشكل حصري تقريبًا وفقًا لمعايير التغيير البيئي (المادي)، أي استخدام الطبيعة لتحسين ظروف المعيشة.

وتم تجاهل الجانب الفكري/الروحي بالكامل تقريبًا فيما يتعلق بـ "التقدم". في المقابل، فإن مهمة الفلسفة هي إعادة تقييم أبعاد التقدم من وجهة نظر أنثروبولوجية وأخلاقية وتحديد التقدم التقني باعتباره جانبًا جزئيًا للتقدم في الإنسانية، يعني كتطور قدرة الإنسان على التساؤل باستمرار عن موقعه في العالم (بالمعنى الهيديجيري "الوجود في العالم In-der-Welt-sein")، وبالتالي تحمل المسؤولية في هذا العالم - تجاه الطبيعة وتجاه بني البشر-.

وهذا هو التعريف التكاملي للتقدم الذي قدمناه في الإعلان التأسيسي لمنظمة التقدم الدولية قبل خمسين سنة من الآن.

إن التقدم المادي دون التقدم العقلي والأخلاقي لا معنى له في حد ذاته، بل يعرض السلام بين الشعوب وبقاء/استمرار الجنس البشري للخطر في نهاية المطاف، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ثالثا

ختاما، أعود إلى اسم جامعتكم مرة أخرى. بالنظر إلى المخاطر والتحديات التي أوجزناها في هذا العرض، نأمل أن تحظى الفلسفة في العصر الحالي مرة أخرى بالأهمية التي منحها لها الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف، عندما طلب ـ قبل أكثر من 800 سنة ـ من ابن طفيل، خلال حديث لهما في بلاط مراكش، تلخيص كتابات أرسطو، التي كانت متاحة فقط، وفقًا للخليفة، في شكل مربك وصعب الفهم.

والتعليق عليها بطريقة تجعل فهمها سهلا للكثير من الناس.
وعلى الرغم من أن ابن طفيل لم يتمكن من تنفيذ هذا المشروع التأويلي بنفسه بسبب تقدمه في العمر والتزاماته العديدة ، فقد طلب من ابن رشد أن يتولى هذه المهمة. وهكذا، وبسبب الاهتمام الفلسفي الحقيقي للحاكم العربي أنذاك، الخليفة الموحدي، فقد أصبح في حوزة العالم أهم وأشمل تفسير لأرسطو، والذي كان له أيضًا تأثير حاسم على مسار الفلسفة الغربية.

سيكون من المرغوب فيه أن يفكر المسؤولون عن الصالح العام ونظام الدولة في قرننا الحادي والعشرين، مثل الخليفة أبو يعقوب يوسف في القرن الثاني عشر، أيضًا، في الأسئلة الأساسية للوجود واتباع طريق الإنسانية بحثًا عن المعرفة التي تتجاوز ما هو مفيد عمليًا.

كما حاولت أن أبين بالأمثلة القليلة السابقة، فإن الفلسفة كميتا-
علم متعدد الثقافات، والتي من خلالها يتكلم الإنسان عن مكانته
في الوجود، لا غنى عنها أكثر من أي وقت مضى.

وينطبق هذا أيضًا على الحوار بين الحضارات، بحيث إن الفلسفة تحديدًا، ونظرًا لعالمية الفكر (التأمل)، قادرة على معرفة ما هو مشترك بين تصورات العالم. وباعتبارها فلسفة دائمة philosophia perennis، فإن راهنيتها موجودة في كل عصر - في كل تشكيل تاريخي-. وما يتغير حسب ظروف العصر هو درجة الوعي براهنيتها هذه.